وكل يعمل على شاكلته وكل امرئ يهفو الى ما يحبه وكل امرئ يصبو الى ما يناسبه فصل وقد عجبت
بهذا جواب السؤال الحادي والعشرين وهو ان كمال التحية عند ذكر البركات اذ قد تشتمل هذه
الالفاظ الثلاثة جميع المطالب من دفع الشر وحصول الخير وثباته ودوامه فلا معنى للزيادة ولهذا
جاء في الاثر المعروف انتهى السلام الى وبركاته

فصل واما السؤال الثاني والعشرون وهو ما الحكمة في اضافة الرحمة والبركة الى الله وتجريد السلام عن الاضافة
فجوابه ان السلام لما كان اسما من اسماء الله تعالى استغنى بذكره مطلقا عن الاضافة الى المسمى
واما الرحمة والبركة فلو لم تضف الى الله لم يعلم رحمة من وبركة من تطلب فلو قيل عليكم والرحمة والبركة
لم يكن في هذا اللفظ اشعار بالراحم المبارك الذي تطلب الرحمة والبركة منه فقيل ورحمة الله وبركاته
وجواب ثان وهو ان السلام يراد به قول المسلم سلام عليكم وهذا في الحقيقة مضاف الى المسلم ويراد به
حقيقة السلامة المطلوبة من السلام سبحانه وهذا انما يضاف الى الله فيضاف هذا المصدر الى الطالب
الذاكر تارة والى المطلوب منه تارة فاطلق ولم يقيد باللفظ واما الرحمة والبركة فلا تضاف الا الى الله وحده
ولهذا لا يقال رحمتي وبركتي عليكم ويقال سلام مني عليك فلان وسلام من فلان على فلان فهو سر ذكر لفظ
السلام اسم للجملة القولية بخلاف الرحمة والبركة فانهما اسمان لمعنييهما دون لفظيهما فتأمله فانه
بديع وجواب ثالث وهو ان الرحمة والبركة اكمل من مجرد السلامة فان السلامة بعد عن الشر واما الرحمة والبركة
فتحصيل الخير وادامته وتثبيته وتنميته وهذا الكمال كانه هو المقصود لذاته والاول وسيلة اليه
ولهذا كان ما يحصل لاهل الجنة من النعيم اكمل من مجرد سلامتهم من النار فاضيف الى الرب تبارك وتعالى
الاكمل من المعنيين وهو تمام اللفظ واطلق الاخر ولو تقيد لفظا فقد عقله منفهم من العطف ومن بنية الحال فجاء اللفظ
على اتم نظام واحسن سياق

فصل واما السؤال الثالث والعشرون
وهو ما الحكمة في افراد السلام والرحمة وجمع البركة فجوابه ان السلام اما مصدر محض فهو شيء واحد
فلا معنى لجمعه واما اسم من اسماء الله تعالى فيستحيل ايضا جمعه فعلى التقديرين لا سبيل الى جمعه واما الرحمة
فمصدر ايضا بمعنى العطف والحنان فلا تجمع ايضا والتاء فيها بمنزلة التاء في الخلة والمحبة والرافة والرقة
ليست للتحديد بمنزلة ضربة وتمرة وتمرات فكما لا يقال رافات ولا خلات ولا رقات لا يقال رحمات
وهنا دخول الجمع يشعر بالتحديد والتقييد بعدد وافراده يشعر بالمسمى مطلقا من غير تحديد
فالافراد هنا اكمل واكثر معنى من الجمع وهذا بديع جدا ان يكون مدلول المفرد اكثر من مدلول الجمع
ولهذا كان قوله تعالى قل فلله الحجة البالغة اعم واتم معنى من ان يقال فلله الحجج البالغة وكان قوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
وقوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة اتم من ان يقال حسنات وكذا قوله يبشرهم ربهم برحمة منه
وفضل ونظائره كثيرة وسنذكر سر هذا فيما بعد ان شاء الله تعالى واما البركة فانها لما كانت على
الدوام شيئا بعد شيء كان لفظ الجمع اولى بها لدلالته على المعنى المقصود بها ولهذا جاءت في القرآن كذلك
في قوله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت فافرد الرحمة وجمع البركة وكذلك في السلام في التشهد السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته

فصل واعلم ان الرحمة والبركة المضافتين

الا الله تبارك وتعالى

٣٢

تبارك وتعالى نوعان احدهما مضاف اليه اضافة مفعول الى فاعله والثاني مضاف اليه اضافة صفة الى الموصوف بها فمن الاول
قوله تعالى في الحديث الصحيح احتجت الجنة والنار فذكر الحديث وفيه فقال للجنة انما انت رحمتي ارحم بك
من اشاء فهذه رحمة مخلوقة مضافة اليه اضافة المخلوق بالرحمة الى الخالق وسماها رحمة لانها
خلقت بالرحمة وللرحمة وخص بها اهل الرحمة وانما يدخلها الرحماء ومنه قوله صلى الله عليه وسلم خلق الله الرحمة
يوم خلقها مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والارض ومنه قوله تعالى ولئن اذقنا الانسان منا رحمة
ومنه تسميته تعالى المطر رحمة بقوله وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وعلى هذا فلا يمتنع الدعاء المشهور
بين الناس قديما وحديثا وهو قول الداعي اللهم اجمعنا في مستقر رحمتك وذكره البخاري في كتاب الادب المفرد له
عن بعض السلف وحكى فيه الكراهة قال ان مستقر رحمته ذاته وهذا بناء على ان الرحمة صفته وليس مراد
الداعي ذلك بل مراده الرحمة المخلوقة التي هي الجنة ولكن الذين كرهوا ذلك لهم نظر دقيق جدا وهو انه اذا كان المراد
بالرحمة الجنة نفسها لم يحسن اضافة المستقر اليها ولهذا لا يحسن ان يقال اجمعنا في مستقر جنتك فان الجنة
نفسها هي دار القرار وهي المستقر نفسه كما قال تعالى حسنت مستقرا فكيف يضاف المستقر اليها والمستقر هو المكان
الذي يستقر فيه الشيء ولا يصح ان يطلب الداعي الجمع في المكان الذي يستقر فيه الجنة فتأمله ولهذا قال مستقر رحمته
ذاته فالصواب ان هذا لا يمتنع وحتى لو صرح بقوله اجمعنا في مستقر جنتك لم يمتنع وذلك ان المستقر اعم
من ان يكون مكانا او غيره فانه يضيف الاهل انواعا اضيف الى ما يبينه ويميزه من غيره كما يقال المستقر الذي
هو رحمتك لا في المستقر الاخر ونظير هذا ان يقول اجلس في مستقر المسجد اي المستقر الذي هو المسجد
والاضافة في مثل ذلك لمستعدا ومستكرها وايضا فان الجنة وان سميت رحمة لم يمتنع ان يسمى ما فيها من انواع
النعيم رحمة ولا ريب ان مستقر ذلك النعيم هو الجنة فالداعي يطلب ان يجمعه الله ومن يحب في المكان الذي يستقر
فيه تلك الرحمة المخلوقة في الجنة وهذا ظاهر جدا فلا يمتنع الدعاء به والله اعلم وهذا بخلاف قول الداعي
يا حي يا قيوم برحمتك استغيث فان الرحمة هنا صفته تبارك وتعالى وهي متعلق الاستغاثة فانه لا يستغاث
بمخلوق ولهذا كان هذا الدعاء من دعاء الكرب لما تضمنه من التوحيد والاستغاثة برحمة ارحم الراحمين
متوسلا باسمين عليهما مدار الاسماء كلها واليهما ترجع معانيها جميعا وهو اسم الحي القيوم فان الحياة
مستلزمة لجميع صفات الكمال ولا يتخلف عنها صفة منها الا لضعف الحياة فاذا كانت حياته تعالى اكمل
الحياة واتمها استلزم اثباتها اثبات كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة وبهذا الطريق العقلي اثبت متكلموا
اهل الاثبات له تعالى صفة السمع والبصر والعلم والارادة والقدرة والكلام وسائر صفات الكمال
واما القيوم فهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته فانه القائم بنفسه لا يحتاج الى من يقيمه بوجه من الوجوه
وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه وهو المقيم لغيره فلا قيام لغيره الا باقامته وهذا من كمال قدرته وعزته فانتظم هذان
الاسمان صفات الكمال والغنى التام والقدرة التامة فكان المستغيث بهما مستغيثا بكل اسم من اسماء
الرب تعالى وبكل صفة من صفاته فما اولى الاستغاثة بهذين الاسمين ان تكون في مظنة تفريج الكربات
واغاثة اللهفات وانالة الطلبات والمقصود ان الرحمة المستغاث بها هي صفة الرب تعالى لا شيء من مخلوقاته
كما ان المستعيذ بعزته في قوله اعوذ بعزتك مستعيذ بعزته التي هي صفته لا بعزته التي خلقها يعز بها عباده المؤمنين

كذا

Copyright © King Saud University